الاوضاع الداخلية في عهد المعتصم

حركة المازيار

ما كادت دولة الخلافة العباسية تتخلص من الاخطار التي كانت تمثلها حركة بابك الخرمي في المناطق الواقعة الى الغرب من بحر قزوين حتى واجهتها حركة فارسية اخرى تمثلت في حركة المازيار بن قارن اخر الامراء القاريانيين بطبرستان الذي اتخذ من موطنه مسرحا لنشاطه الثوري المعادي الدولة .

اعتنق المازيار الاسلام وتسمى باسم محمد وولاه المأمون على طبرستان و رويان و دونباوند ولقبه الاصبهذ .

ويبدو انه كان ذا نزعات استقلالية فأراد الانفصال عن جسم الدولة . فاستغل الخصومة بين الطاهريين الذين كان يكرههم وبين الافشين الطامع في ولاية خراسان ليرفع راية الثورة . وكان هذا الاخير قد كاتب المازيار وشجعه على اعلان العصيان على حكمهم املا ان لا يتمكن هؤلاء من اخضاعه فيتخذ عندئذ ذلك ذريعة لانتزاع خراسان منهم .

لكن هذه العلاقة بين الافشين والمازيار لم تكن بهذه السطحية وان الصلة التي جمعت الرجلين بعيدة الغور عميقة الجذور. فقد اعترف المازيار بأن الافشين حرضه على الخروج والعصيان لمذهب اجتمعوا عليه ودين اتفقوا عليه ودين اتفقوا عليه من مذاهب الثنوية والمجوس كما كان المازيار يكاتب بابك ويعرض عليه المساعدة والراجح انه كان على مذهب الخرمية ذلك المذهب الذي اضحى يمثل ثورة الوعي الفارسي ضد سلطان العباسيين وضد المجتمع الذي اقاموه وان الدوافع التي حركت بابك هي التي حملته على العصيان خاصة اذا علمنا انه كان حديث عهد الاسلام اي ان هذه الدوافع كانت مزيجا من الدوافع السياسة والعنصرية والدينية .

وتدل التدابير التي نفذها المازيار بعد اعلان حركته على النزعة الخرمية الاشتراكية . اذ اراد مصادرة الاراضي من الملاكين وتوزيعها على الفلاحين ولهذه النزعة معنى سياسي الى جانب المعنى الاقتصادي خاصة اذا علمنا ان قسما كبيرا من الملاكين كانوا من العرب ومواليهم لذلك امر المازيار عامله على سرخستان بأن يجمع مائتين وستين من ابناء القادة ويسلمهم الى الفلاحين ليقتلوهم باعتبارهم اناسا يشكلون خطرا كما

اغرى هؤلاء بقتل ارباب الضياع واباح لهم منازلهم وحرمهم في محاول تهدف الى ضم قوى الطبقات العامة ودفعها للتخلص من السلطان العربي .

وقد وقف الخليفة على اهداف هذه الثورة حين ضبط عبد الله بن طاهر رسالة من الافشين الى المازيار وبعد ان حصل هو على الرسائل الاخرى من المازيار نفسه .

والواقع ان هذه الحركة ولدت ميتة ذلك لتوقيت اعلانها في عام (224 هـ / 839 م) لم يكن مناسبا . فقد كانت دولة الخلافة العباسية انذاك في وضع مستقر وعلى درجة عالية من القوة وذلك بعد ان تخلصت من العديد من الحركات المعادية التي قامت في وجهها وبالتالي فأن القضاء على حركة المازيار لم يكلفها الكثير من الجهد . اما نهاية المازيار فقد كانت شبيهة بنهاية بابك حيث قتله الخليفة ثم صلبه الى جانب بابك .

ظهور العنصر التركي

بويع للمعتصم بالخلافة في ظل ظروف من الصراع العنيف بين العرب من ناحية والفرس الذين حظوا بعطف المأمون خلال السنوات الاولى من خلافته من ناحية اخرى واختلال في التوازنات بين العناصر التي تكونت منها الدولة العباسية . فقد ساءت العلاقات بين العباسيين والخراسانيين منذ انتقال المأمون من مرو . وظهر اثر ذلك في القضاء على بني سهل وقيام الحركات المناهضة للدولة ذات الخلفيات الفارسية وبالتالي استحالة التوفيق بين تطلعات الخراسانيين ومصالح العباسيين وبدأت ثقة المعتصم بالفرس تضعف .

ومن جهة اخرى لم يركن المعتصم الى العنصر العربي ولم يثق بالعرب نظرا لكثرة تقلبهم واضطرابهم وقيامهم ضد الخلفاء بالاضافة الى ان هؤلاء فقدوا كثيرا من مقومات قوتهم السياسية والعسكرية فأصبحوا اقل خطورة واضعف شأنا .

حملت هذه المعطيات المعتصم على ان يوكل امر سلامته الشخصية الى فرقة من العنصر التركي وقد توافقت طباعه النفسية وصفاته الجسدية من حيث القوة والشجاعة ومتانة الجسم مع صفات اخواله الاتراك كأمة عنيفة محاربة شديدة البأس . واضحى

لهذا العنصر اثر كبير في الحياة السياسية والاجتماعية بالرغم من ان الاتراك لم يكونوا اهل حضارة عريقة . واصبح الحرس التركي يمثل دعامة من دعائم الخلافة ايام حكمه.

والواقع ان الاتراك نفذوا الى المجتمع الاسلامي منذ العهد الاموي على اثر الفتوحات الاسلامية لبلاد ما وراء النهر لكن لم يكن لهم اي تأثير سياسي في المجتمع الاسلامي . الا ان هؤلاء دخلوا في صميم الحياة الاسلامية منذ العصر العباسي وبدأ عددهم يتزايد اخذوا يظهرون على مسرح الاحداث في بغداد ظهورا واضحا منذ عهد المأمون الذي استخدمهم في الجيش ليحقق نوعا من التوازن بين العنصرين العربي والفارسي .

وتلقف المعتصم هذه العصبية الجديدة النامية لاستغلال مواهبها العسكرية للحفاظ على دولته والابقاء على خلافته في ظل الصراع العربي- الفارسي . فاستخدم الاتراك في الجيش على نطاق واسع وجعلهم تحت امرة قادة منهم مسددا بذلك ضربة عنيفة للقادة وللجند العرب ولسياسة المنصور التقليدية التي كانت تستهدف حفظ التوازن في الجيش بين الفرق الاعجمية والفرق العربية .

اما مصادر هؤلاء الاتراك فقد جلبهم المعتصم من اقاليم ما وراء النهر مثل سمرقند وفرغانة واشروسنة والشاش وخوارزم وكان ذلك اما عن طريق النخاسة اي الشراء واما عن طريق الاسر في الحروب واما عن طرق الهدايا التي كان يؤديها ولاة هذه الاقاليم على شكل رقيق الى الخليفة . ومن ثم اضحت بلاد ما وراء النهر مصدرا هاما للرقيق التركي .

ومكن المعتصم للاتراك في الارض فقربهم اليه وخصهم بالنفوذ وقلدهم قيادة الجيوش وجعل لهم مركزا في مجال السياسة واسكنهم سامراء التي بناها خصيصا لهم . ومن جهة ثانية حرم العرب مما كان لهم من قيادة الجيوش ثم اسقط اسماءهم من الدواوين وقطع اعطياتهم .

كان لسياسة المعتصم هذه نتائج انية و بعيدة .

فمن حيث النتائج الآنية فقد اغضبت هذه السياسة العرب فانتفضوا على حكم المعتصم كما دبروا مؤامرة لاغتياله بزامة عجيف بن عنبسة والعباس بن المأمون لكن المؤامرة فشلت . وكانت ردة فعل المعتصم ان تخلص من العباس في الوقت الذي توفي فيه عجيف ثم اقصى العرب والفرس تدريجيا واسقطهم من ديوان العطاء .

ومن حيث النتائج البعيدة فقد تسببت هذه السياسة بحدوث اضرار بالغة وخطيرة على دولة الخلافة العباسية اذ خرجت بها عن مسارها العربي – الفارسي وادت الى اضعاف سلطة الخليفة وربما كان نشوء الدولة الانفصالية في مختلف ارجاء الدولة اعتبارا من العصر العباسي الثاني احد هذه النتائج لكنها لم تظهر بوضوح في عهد المعتصم وسوف تنجلي فيما بعد منذ مقتل المتوكل في عام (247 هـ / 861 م) .

القضاء على الافشين

استغل بعض القادة الاتراك في الدولة العباسية مناصبهم القيادية ونفوذهم في البلاط ليحققوا طموحاتهم بالانفصال عن الدولة . وكان من بين هؤلاء الذين تمتعوا بنزعات استقلالية القائد التركي الأفشين الذي اراد تأسيس دولة انفصالية له في اشروسنة . فراح يمهد طريق الوصول الى هدفه بالخطوات التالية :

- حاول استقطاب السكان حتى ينفضوا الى الوالي العباسي ويلتفوا حول دعوته .
- حاول ازاحة والي خراسان عبد الله بن طاهر الذي وقف في وجهه .
- حرض كلا من المازيار ومنكجور الفرغاني بالثورة على حكم المعتصم .

فشل الافشين في تحقيق هدفه بعد ان اكتشفت مؤامرته . فتغيرت سياسة الخليفة تجاهه وادرك من جانبه هذا التغيير مما دفعه الى التفكير بالتخلص من الخليفة نفسه لكن قبض عليه وحاكمه المعتصم . لكم محضر المحاكمة لم يشر الى المؤامرة وانما هي مجموهة تهم اريد بها ان الافشين لم يعتنق الاسلام حقيقة و لا يزال يتعصب للمجوسية ويسعى للقضاء على دولة الخلافة العباسية . ولعل هدف المعتصم كان منع تسرب النفرة والشك الى القادة الاتراك الاخرين . وتوفي الافشين في سجنه في عام (226 هـ / 841 م) .